المستوفى
فى النحو

لكمال الدين أبى سعد على بن مسعود بن محمود بن الحكم الفرخان

قاضى القضاة

حققه وقدم له وعلق عليه

الدكتور

محمد بدوى المختون

الجزء الأول

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

الناشر

دار الثقافة العربية

٣ شارع المبتديان بالسيدة زينب - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله »

(سورة الأعراف من الآية ٤٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أحمد الله تعالى حمدا يكافىء نعمه ، وأصلى وأسلم على نبيه المصطفى وآله — الذى أوتى جوامع الكلم ، وكان أفصح من نطق بالضاد ، حيث قال : « أنا أفصح من نطق بالضاد ، بيد أنى من قريش ، واسترضعت فى بنى سعد » • أحمده تعالى على أن يسر لى سبيل الاشتغال بالتراث النحوى واللغوى ، لما لكل منهما من تعلق بالقرآن والحديث ، والشعر وكلام العرب ، فالعلم يشرف بشرف معلومه • وبعد :

فانى وجدت كثيرا من العلماء — مع علو شرفهم ومجادتهم — كانوا محدودين لا مجدودين ، وكتبهم كانت كذلك ، اذ لم يرزقوا تلاميذ أوفياء لسبب أو لآخر ، ينقلون عنهم علمهم ، فى حين أنى رأيت كتبا كثيرة تنشر ، ورسائل صغيرة لا تضيف جديدا ، بل قد تكون نسخة مكررة من غيرها أو تكاد ، ومع ذلك لها حظوة فى الشيوع والذيوع ، ورأيت أخرى الى جانبها هى درة فريدة فى بابها ، وفى طريقة تناولها ومنهجها لم تر النور بعد • وهذا القول يصدق أكثر ما يصدق على كتاب « المستوفى » ، وعلى صاحبه « الفرخان » الذى عرف بهذا الكتاب دون سواه ، وشهر به ، حتى كان يقال فى النقول عنه : قال صاحب المستوفى ، وقليلا ما يقال : قال الفرخان •

وها أنذا أقدمه لقراء العربية ، اذ حوى نمطا فريدا فى التناول والتأليف النحويين ، بناه على تعديد العوامل ، ثم تناول الفعل ، وأضاف اليه أبوابا بأخرة لما لها من ارتباط بالنحو ، كما ربط فيه

النحو بغيره من العلوم ، حيث كان من ديدنه القول باستفادة العلوم بعضها من بعض ، وهو على حق فى هـذا ، من مثل التفسير والفقه ، والعروض والموسيقا ، والجبر والرياضيات ، مع تقـديمه بمقـدمة ضافية ، أشبه بـ « المدخل » الى علم النحو • وهى بادية القيمة ، اذ أبان فيها عن منهجه وحسناته ، فجاء الكتاب كما رسمه وأراد له ، وهـو يقـدم لكل فصل بمقـدمة تساعد على فهمه ، ولم يجعله أبوابا ، ومن أجـل ذلك كله قيل فيه :

رأيت تعاليقَ النحاة كثيرةً فما راقنى منها كتاب كمستوفىَ
بيان وترتيب وحسنُ سياقةٍ ينالُ بها منَ رامه حظه الأوَفى

وقـد بين سبب تأليفه اذ قال : « وبعـد : فانى لمـا تصفحت عامة الكتب المصنفة فى النحو ، وجـدت موجزها يقصر عن الواجب فيه ، ومبسوطها يربى على المحتاج اليه منه ، ومع هـذا فان أكثرها كان مشوشا فى ترتيبه ، وغير أنيق فى تقسيمه وتبويبه » فهو كتـاب وسيط ، للمبتدىء فى أصول الصناعة ، وكذلك لمن فـوق الشادى ، فالمبتدىء يأنس بترتيبه ، حيث أضاف الدقيق الى الجليل ، وخلا من التشويش ، وفيه جدة التقسيم والتعليل ، وفوائد من الارتياض بالرصف الجـديد ، والاطلاع دفعة على ما حصل من التفـاريق ، واقتناص الحـدود والرسوم التى أغفلها كثيرون — على ما زعم — والانتقال فى الفتوى من الجزئية الى الكلية ، ومن التعليل من الحسبان الى الحقيقة • ثم أوصى قارئه فى آخره بأن عليه أن يديم النظر فيه ثانية ، ويتدبر فصوله ، ويستعين عليها بمعرفة التقاسيم التى فى الباب ، وبمراعاة التقابل بينها ، وأن يتجرد فى كل فصل لفهم آخره فيحفظ أوله ، ويستوضح مجمله باستيعاب مفصله مع قوة نفس ، وجودة حس ، فانه لا يعجز عن فهم معانيه وفتح أكثر ما فيه •

وهى نصيحة لازمة ، خاصة اذا كان الكتاب بما وراء النهر وينطبق عليه قول ابن خلدون ـ المقدمة ص ٦٢٤ ـ : « فصل فى وجه الصواب فى تعليم العلوم وطريق الجادة : أعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدا اذا كان على التدريج شيئا فشيئا ، وقليلا قليلا ، يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن فى أصول ذلك الباب ويقرب له شرحها على سبيل الاجمال .... » الى آخر ما قال .

كما أوصى المؤلف ناسخه بأن عليه تحريره تحرير عالم ، وعليه أن يبالغ فى ضبط الرقوم التى على المقاسم ، وأن يتوفر على ما فى آخره خاصة من علامات الروم والاشمام والاختلاس والامالة وتسهيل الهمزة ، فانه ان أخل بذلك فى فصل ما استحالت صورته ، ولم يبق الا سواد مصحف ، أو مثال عن الحق محرف . ولم يفته أن يقول : « وان عثر بعض المشاركين فى الصناعة من المتأخر زمانهم عن زماننا ... أن يعاملنا بأكثر مما عاملنا به من كان سها قبلنا والى الله تعالى الرغبة .... » .

فكان بهذا ألمعيا ، اذ جاء أبو حيان من بعده ، وكان دائب التنقص من العلماء قبله ، كما فعل بابن الحاجب وابن مالك والزمخشرى ، وهم من هم شهرة وعلما ، وكذلك كان موقفه من الفرخان مع أنه أكثر النقل عنه كما نص على ذلك ابن مكتوم فى تذكرته . فالناس أعداء ما جهلوا ـ والغصن يرمى بالحجارة مثمرا ـ .

ونرى الفرخان فى اللوحة ١٣١ و يشير الى شىء من هدفه من هذا الكتاب فيقول : « ... وليس هذا مما نحن بصدده فى شىء ، وانما نورد أمثال هذه المسائل لتفيد الدربة والارتياض لمن

ينظر فيها ، لئلا يخلو الشادى اذا نظر فى هـذا الكتاب من فـوائد تخصه وتليق به ومن الله المعونة » .

رحلتى مـع هـذا الكتاب :

لمـا عثرت على نسخة دارٌ الكتب المصرية وتصفحت الكتـاب وجـدته جـديرا بالتحقيق والانتفاع به ، غير أنه فى بادىء الأمر حالت دون ذلك عقبـة ، اذ لم أعثر على غـير هـذه النسخة ، وهى منسوبة خطـأ الى جمال الدين أبى سعيد الزجاجى ، كما فى ظهر نسخة الدار ، وتنقص من أولها نحو كراسة كما جاء وصفها فى فهرس دار الكتب نقلا عن كشف الظنون وهى عن نسخة مكتوبة بخط التعليق بخط فتوح بن معاذ الطوسى وفرغ من كتابتها يوم الاثنين من شـهر شوال سنة ٦٦٩ هـ وبهامشها تقييدات .

وبتصفحى لفهرس المرحوم فؤاد السيد وجدت أن للكتاب ثلاث نسخ ، كما عثرت على نسخة رابعة فى مكتبة جستر بيتى ، التى منهـا ميكروفلم بالمكتبة المركزية لجامعة الامام بالرياض . فتجـدد الأمل وقـوى العزم على تحقيق الكتاب عندما وافتنى نسخة تركيا وهى كاملة بعـد سـعى حثيث ، فحمدت الله وشرعت فى انجـازه ونشره خـدمة للتراث العربى ، ولأسهم به فى بناء صرح النحو الشـامخ منذ كتاب سيبويه ، حققته على نسختين فحسب اذ نسخة جستر بيتى صورة مكررة من نسخة دار الكتب وطبق الأصل . وكذلك نسخة ولى الله جار الله ، لأنها فى القرن الثامن فهى متأخرة نسبيا ، ولا يبعد أن تكون منقولة عن أحد هـذين الأصلين ، هـذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لأنه من العسير الحصول عليها .

هـذا ولفظ « المستوفى ، بفتح الفـاء ، كما يؤيد ذلك البيتان السابقان ، ولأنه استوفى فيه مؤلفه أصول النحـو وفصـوله • أما « المستوفى » بكسر الفاء فوظيفة يلقب بها من يقوم بها ، ومن النحاة من عرف بابن المستوفى وهـو المبارك بن أحمد الاربلى ت ٦٣٧ هـ الذى له المحصل فى نسبة أبيات المفصل ، وغيره •

والكتاب أنهيت تحقيقه منذ سنوات ، والآن حان له أن يرى النور ، فشكرا لناشره السيد سلطان ابراهيم سعيد • وأرجـو أن أكون قـد وفقت فيما أردت ، فاختيار المرء قطعة من عقله كما يقال ، ومن الله المعونة والتوفيق ، والحمد لله الذى بفضله تتم الصالحات •

المحقق

القاهرة فى نوفمبر سنة ١٩٨٦

أ• د• محمد بدوى المختون

مقدمة

مؤلف الكتاب :

هو على بن مسعود بن محمود بن الحكم الفرخان القاضى كمال الدين أبو سعد صاحب المستوفى فى النحو • أكثر أبو حيان من النقل عنه ، وسماه هكذا ابن مكتوم فى تذكرته (بغية الوعاة ٣٥٥ طبع بيروت • والعبارة بنصها فى ٢/٢٠٦ ورقم صاحبها ١٨٠ من طبعة دار الفكر • تحقيق أبى الفضل سنة ١٩٧٩) ولم يزد على ما سبق •

فلم تسعفنى كتب التراجم بشىء عنه ، فجهدت فى أن أجد له ترجمة تبين عن حياته وتنقلاته فلم أجد فيما بين يدى شيئا عنه ، وما أكثر كتب التراجم • غير أنى وجدت فى روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات لمحمد باقر الخوانسارى والأصبهانى ، أثناء الحديث عن : ابراهيم بن محمد بن عربشاه الاسفراييني الحنفى الأشعرى أنه عقب على وفاة الاسفراييني قائلا : ••• هذا القول قد ذكره فى حق جماعة مجهولى الأحوال مشهورى التصنيف ، منهم صاحب المراح فى التصريف يقال هو أحمد بن على بن مسعود مصنف المراح فى التصريف مختصر وجيز بأيدى الناس ، لم أقف له على ترجمة • ومنهم القاضى كمال أبو سعد على بن مسعود بن الحكم الفرخان صاحب كتاب المستوفى فى النحو • ولعل الفرخان هذا هو والد أحمد بن على بن مسعود أو أحد قرابته الفضلاء فلا تغفل — فلم يعثر له على سنة وفاة كما لم يعثر للفرخان والده على سنة وفاة• ومن أجل هذا نجد فى كشف الظنون م ٢ جدول ٦٧٥ ما نصه :

« المستوفى فى النحو — لأبى سعد كمال الدين على بن مسعود الفرغانى المتوفى سنة ... » ولم يزد على ذلك وسكت عن تحديد سنة وفاته .

فالذى نعلمه يقينا أنه لقب بالفرخان ، وبكمال الدين وبجمال الدين ، وبالقاضى وبقاضى القضاة كما فى الأشباه والنظائر للسيوطى ١/٩٩ نقلا عن تذكرة ابن مكتوم . وكنى بأبى سعد كما جاء فى متن الكتاب المحقق وهو « المستوفى » ويبدو أنه عاش — على وجه التقريب — فى أواخر القرن السادس ومنتصف القرن السابع الهجريين ، فانه قد تعرض لجامع العلوم الضرير الذى كان شديد اللهجة على أبى على الفارسى والذى توفى فى حدود سنة ٥٤٣ هـ . وشارف عصر غازان : ولا يبعد أن يكون الفرخان قد شهد سقوط بغداد على يد التتار . والفرخان فرغانى الأصل وان كان من المحتمل أنه قد تنقل ببغداد كما هى العادة عند نظرائه ، وبحكم منصبه قاضى القضاة ، وصحبته للأمير بحكم الألقاب التى أسبغها عليه كما يتضح من مقدمة الكتاب . فقد جرى السلاجقة قبيل عصره على التلقيب بألقاب دينيه مع أسمائهم الأصلية ، من نحو : السلطان مغيث الدنيا والدين ، أو ركن الدنيا والدين ، كهف الاسلام والمسلمين — وكان من رسومهم أن يكون لهم نواب فى بغداد ولهم بها قصر وللوزراء نواب بالعراق — ومن نحو : الصاحب الأجل المؤيد المنصور المظفر مجد الملة والدين صدر الاسلام والمسلمين نظام الملوك والسلاطين قوام الملك والأمة تاج الممالك والملة صفى الامام ومجد الأنام سيد الوزراء فى العالمين الخ . أما قاضى القضاة فكان حلقة وصل بين السلطان ونائبه على العراق ويقيم بحاضرة السلطنة السلجوقية ، وهو غير قاضى الخليفة العباسى . ومن هنا تأتى صلة الفرخان ببغداد ، فالشرق والغرب كانا على اتصال ، وذلك لأن السلاطين لا يلمون بالعربية ولا بأحكام الشريعة . ولهم وظيفة

المحتسب التى هى من الوظائف الخاصة بالقضاء • ولهم الطغرائى الذى له صلاحيات الوزير عند غيابه ويشترط فيه التمرس بالكتابة وعلم اللغة والأدب ومعرفة القوانين فهو العقل الادارى والثقافى للسلطان السلجوقى • ومن رسومهم المستوفى الذى يتولى ادارة الشئون المالية ، ولكل مدينة مستوف يخضع لمستوفى الحاضرة • وأكل ديوان كتاب متنوعون(١) •

ولما كانت العصور تتداخل زمنيا وتمضى مدة ليتميز نظام عن نظام ، بقيت هذه الرسوم ردحا من الزمن بعد انقضاء حكمهم ، ولهذا نرى عالما قريبا من عهد الفرخان هو الخجندى يستعملها كذلك(٢) • ونجد الفرخان لقرب عهده بالسلاجقة يستخدم هذه الألقاب ، قال فى مقدمة المستوفى : انه اتصل بخدمة السلطان الأجل العالم المنعم شهاب الدين ظهير الاسلام والمسلمين صدر العراقين أبى زيد محمد بن الفضل بن أحمد ، الذى دعا له بقوله : ••• بالعز ناديه ، وأرغم بالذل أعاديه ، ولا زالت مراسم الفضل بذكره مزينة وأقسام السعادة له ولأوليائه معينة • وأن هذا الصدر قد رسم له انشاء كتاب المستوفى • فلا شك أنه كانت للفرخان وظيفة فى حياته تتناسب وثقافته الشاملة فى منصب من المناصب السابقة • ومن الخطأ الزعم بأن المغول قضوا على الحركات الأدبية والعلمية فكتاب الفرخان والخجندى — وخجندة قريبة من فرغانة — يعكسان غير ذلك ، بل ان المؤسسات العلمية تركت بحالها وأبقى لها أوقافها ، بل وأنشئت مدارس جديدة تبنت المعرفة فى شتى فروعها(٣) •

---

(١) انظر « رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية » د. محمد محمود ادريس طبع سنة ١٩٨٣ ص ٨٩ وما حولها .

(٢) أنظر مجلة كلية الشريعة ببغداد . العدد الخامس . سنة ١٩٦٩ م مقال للمحقق عن « قصيدة القوادم والخوافى » للعلاء الخجندى .

(٣) انظر مقدمة تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب لابن الفوطى ج ٤ تحقيق د. مصطفى جواد مطبوعات الثقافة والارشاد بالعراق .

وقـد ذهب ابن خلدون الى انتقال العلم من بغـداد الى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر من المشرق ثم الى القاهرة وما اليهـا من المغرب ، قال: « فصل فى أن حملة العلم فى الاسلام أكثرهم العجم: من الغريب الواقع أن حملة العلم فى الملة الاسلامية أكثرهم العجم ••• والحضر لذلك العهد هم العجم أو من فى معناهم من الموالى وأهل الحواضر الذين هم يومئذ تبـع للعجم فى الحضـارة وأحـوالها من الصنائع والحرف ••• فكان صاحب صناعة النحو سيبويه ••• وكلهم عجم فى أنسابهم وانمـا ربوا فى اللسان العـربى فاكتسبوه بالربى ومخالطة العرب وصيروه قوانين وفنا لمن بعـدهم ••• ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه الا الأعاجم ، وظهر مصـداق قـوله صلى الله عليـه وسلم « لو تعلق العلم بأكناف السماء لنالـه قوم من أهـل فارس » ••• فلم يزل ذلك فى الأمصار ما دامت الحضارة فى العجم وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر ، فلمـا خربت تلك الأمصار وذهبت منها الحضارة التى هى سر الله فى حصول العلم والصـنائع ذهب العلم من العجم جملة •••• ولا أوفر اليوم فى الحضارة من مصر فهى أم العالم وايوان الاسلام وينبوع العلم والصنائع • وبقى بعض الحضـارة فيمـا وراء النهر لمـا هنـاك من الحضـارة بالدولة ••• »(١) •

فرغـانة :

وأما فرغانة التى نسب اليها صاحب المستوفى فهى بفتح الفـاء وسكون الراء ثم الغين الخ وهى مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان فى زاوية من ناحيـة هيطـل من جهـة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك ، كثيرة الخير واسعة الرستاق ، يقال كان بها أربعون منبرا ، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخا ، ومن

(١) مقـدمة ابن خلدون ص ٦٣٥ — ٦٣٨ .

ولايتها خجندة • وسمرقند هـذه جنوب طرف نهر سيحون مباشرة أى تقع بين طرفى سيجون وجيجون ، بالقرب من كاشير • وخجندة بأذربيجان وكذلك مراغة التى كانت قاعـدة للمغول • قال بطليموس : مدينة فرغانة طـولها مائة وثلاث وعشرون درجـة ، وهى الاقليم السادس تحت احـدى وعشرين درجة من السرطان يقابلها مثلها من الجـدى ••• وبها فى الجبال الممتدة بين الترك ومدنها من الأعنـاب والجوز والتفاح وسائر الفواكه والورود والبنفسج وأنواع الرياحين مباح ذلك كله ، لا مالك له ولا مانع يمنع الآخذ منه • وكذلك فى جبالها وجبال كثيرة مما وراء النهر الفستق المباح ما ليس ببلد غيره •••• وقال الاصطخرى : فرغانة اسم الاقليم وهـو عريض موضـوع على سعة مدنها وقراها وقصبتها أخسيكث ، وليس بما وراء النهر أكثر من قرى فرغانة ، وربما بلغ حـد القرية مرحلة لكثرة أهلهـا وانتشار مواشيهم ••• وممـن ينسب الى فرغانة حاجب بن مالك بن أركن أبو العباس التركى الفرغانى سكن دمشق وحـدث بها ••• وفى كتاب ابن الفقيه : كان أنو شروان بناها ونقل اليها من كل أهل بيت واحـدا ، وسماها أزهرخانة ، أى من كل بيت ••• ويقـال فرغانة قرية من قرى فارس ••• ينسب اليها أبو الفتح محمد بن اسماعيل الفارسى الفرغانى دخل نيسابور وسمع من أبى يعلى المهلبى وغيره ، « وقرى السوس وألطا ، وسدد ، وقرى طنجة والسوس التى بمغيب الشمس شعرى قـد ورد ••• »(١) •

ومن لقب الفرخانى — وهى نسبة الى فرخان اسم لبعض أجداد المنتسب اليه •••• فهـذا اسم تسمى(٢) به • وأبو الطيب محمد بن

---

(١) انظر معجم البلدان لياقوت . الطبعة الأولى سنة ١٩٠٦ الخانجى المجلد السادس ص ٣٦٤ — ٣٦٥ .

(٢) الانساب للسمعانى . بيروت ٩/٢٦٣ .

الفرخان قدم بغداد وحدث بها ، وأبو جعفر محمد بن ابراهيم .. ابن فرخان الفقيد الفرخانى الجرجانى نسب الى جده الأعلى نزل سمرقند وكان فقيها . والفراخنى المقرىء الكسائى الفرخانى من أهل أصبهان وفى تبصير المشتبه ١٠٧٥ ابن فرغان أبو الحسن أحمد بن الفتح ه وفى تراجم رجال القرنين السادس والسابع وهو الذيل على الروضتين لأبى شامة ، نشر السيد عزت العطار : أحمد بن يوسف الفرغانى ص ١٥٦ — وممن يعتبر مدركا له صاحب المستوفى على بن أبى بكر بن عبد الجليل الفرغانى الميرغينانى الرستارى برهان الدين ت ٥٩٣ وكذلك فخر الدين الحسين بن منصور الأوزجندى الفرغانى المعروف بقاضى خان ت ٥٩٢ ه الذى له فتاوى قاضى خان(١) .

توثيق الكتاب وقيمته :

نسبة الكتاب « المستوفى » لجمال الدين أبى سعيد الزجاجى خطأ محصن بتحريف كمال الدين أبى سعد الفرخانى ، فلقد رجعت الى ترجمة الزجاجى : تلميذ الزجاج وترجمة أبى القاسم يوسف بن عبد الله الزجاجى المولود بهمذان والذى عاش بجرجان وتوفى باستراباد فلم أجد أحدا ذكر هذا الكتاب فى مؤلفاتهما(٢) وعلى العكس من ذلك هو منسوب الى الفرخان فى كشف الظنون كما سبق ، وفى البغية للسيوطى ، وفى مقدمة الكتاب ، فنسبته الى غيره لا تستحق الوقوف عندها ، خاصة أن كل النقول التى نقلت عن الفرخان من المستوفى كلها بنصها فى هذا الكتاب لا يسقط منها حرف واحد . يدرك ذلك بمقابلة هذه النصوص وبغيرها من الأدلة .

---

(١) انظر بروكلمان ٦/٣٠٧ ، ٧٠٣ ، ٤/١٩٨ .

(٢) انظر بروكمان ٢/١٧٣ ترجمة رقم ٢٤ والبغية ٢/٧٧ ترجمة رقم ١٤٧٩ وبروكلمان ٢/٢٧٣ أثناء حديثه عن علم العربية فى فارس وبلدان المشرق ترجمة رقم ٨ .

لم تصح اذن نسبة الكتاب الى الزجاجى ، بل هـو بيقـين للفرخان ، بدليل ما جاء على نسخة تركيا (شهيد على) وهى النسخة الأم ، فيها ورد اسمه واسم مؤلفه كاملا ، وكما جاء فى صور المقدمة : « قال أبو سعد » وهى كنية الفرخان • وكذلك تطابق ما جاء فيه بما نقـل عنه فى مصادر شتى كالبرهان والاتقان والأشباه والنظـائر والاقتراح والأشمونى ، وغيرها من كتب أبى حيان : فقـد اختـار السيوطى من بين تعاريف النحو تعريف الفرخان •

فبعـد تعريف الخضراوى له بأنه علم بأقيسة تغير أدوات الكلم وآخرها بالنسبة الى لغة لسان العرب • وتعريف ابن عصفور بأنه علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة الى معرفة أحكام أجزائه التى ائتلف منها ــ وهـو تعريف انتقـده ابن الحاج ــ وتعريف صاحب البديع بأنه صناعة علمية يعرف بها أحوال كلام العرب من جهة ما يصح فى التأليف ليعرف الصحيح من الفاسد ، وتعريف ابن جنى بأنه انتحاء سمت كلام العرب فى تصرفه من اعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والاضافة والتكسير ليلحق من ليس من أهـل اللغة العربية بأهلها فى الفصاحة ــ ثنى بتعريف الفرخان فقال : « وقال صاحب المستوفى : النحـو صـناعة علمية ينظر لهـا أصحابها فى ألفاظ العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم ، لتعرف النسبة بين صيغة النظم وصورة المعنى ، فيتوصـل باحـداهما الى الأخرى » وهـذا التعريف وارد بالمستوفى بنصه(٢) •

وسأجتزىء فى نقل النصوص الموثقة ، مع الاشارة الى مصادرها ليرجع اليها من يشاء ، فأقول انه ورد اسم الكتاب وكنية صاحبه فى

---

(١) الاقتراح الطبعة الثانية ص ٦ .
(٢) ص ١١ من النص المحقق .

الأشمونى ففيه : « وقال أبو سعيد فى كتابه المستوفى : وتقول فى أيم : أيمى ، لأنك لو حذفت الياء المتحركة لم يبق ما يدل عليها — قيل وليس بتعليل واضح ، ولو علل بالالتباس بالنسب الى أيم لكان حسنا »(١) وفى اقليد الخزانة للميمنى • لاهور سنة ١٩٢٧ « المستوفى (كذا) ٤/٢٧٩ ، ٤٩١ (قال خليفة هو لأبى سعد كمال الدين على بن مسعود الفرغانى) ونقل عنه فى الهمع ففيه : « أى بالفتح والسكون حرف لتفسير بمفرد ••• فتاليها عطف بيان على ما قبلها أو بدل منه • وقيل عطف نسق قاله الكوفيون وصاحبا المستوفى والمفتاح — ورد بأنا لم نر عاطفا يصلح للسقوط دائما ، ولا عاطفا ملازما لعطف الشىء على مرادفه »(٢) • وأورد نصا آخر عن أى قال : « وأثبت الكوفيون أيضا العطف بأى نحو رأيت الغضنفر أى الأسد وضربت بالعضب أى السيف • والصحيح أنها حرف تفسير يتبع بعدها الأجلى للأخفى ، لأنا لم نر عاطفا يصلح للسقوط دائما ، ولا ملازما لعطف الشىء على ما يرادفه • وهذا القول نقله فى التسهيل عن صاحب المستوفى • قال أبو حيان : ولا أدرى من هو ! قال : والعجب نسبته هذا المذهب الى كتاب مجهول • وهو مذهب الكوفيين ووافقهم ابن صابر والسكاكى »(٣) • فهذه آراء له قال بها منها ما وافق الكوفيين فيه • وأقول لأبى حيان : الناس أعداء ما جهلوا ، فهذا هو الكتاب المجهول يمثل ظاهرا أمام القراء • وهذا الرأى قال به أيضا ابن صابر الذى سمى اسم الفعل خالفة وكذلك السكاكى والكوفيون والفرخان صاحب المستوفى(٤) • وذكر صاحب المستوفى فى المغنى ١/١٧٨ «وزعم صاحب المستوفى أن الكاف لا تكف بما ، ورد عليه ••» •

(١) الأشمونى ٤/١٣٨ ولوحة .
(٢) الهمع ٢/٧١ ولوحة .
(٣) الهمع ٢/١٣٨ ول .
(٤) أنظر الخزانة ٢/٢٢٨ .

وهناك نصوص فى الأشباه والنظائر من هـذا الكتاب ، ففيها : « العاشرة من تذكرة الشيخ تاج الدين ابن مكتوم من كتاب المستوفى فى النحو لقاضى القضاة كمال الدين أبى سـعد على بن مسعود بن محمود بن الحكم الفرخان : قولهم نفطويه وسيبويه ، الأول من جزأى المركب هـو الأصل فى التسمية وكان قبل التركيب معربا والثانى حكاية صوت حقه أن يكون مبنيا .... وههنا أصل لا يسعك اهماله وهـو أن تعلم أن نحـو هـذا من الأعلام انما ورد عليه البناء بسبب الاستعمال العجمى ، وذلك أن العجم كأنهم وجـدوا لفظى نفط وسيب أصـلين دعوا بهما ، الا أن لهم فى لغتهم أن يضيفوا الى مثل هـذه الأسماء فى البدء وغيره واوا ساكنة قبلها ضمة نحـو نفطويه وسيبويه • وقـد سمعته العرب ولم يجـدوا مثل هـذا فى كلامهم فحاولوا هـذا الصوت (ويه) اذ هـو مما يعرفونه وقـد يخرج به الاسم عن أن يكون آخره واوا قبلها ضمة ، ثم بنوا الاسمين اسما واحـدا »(١) •

وفيها أيضا : « الثانى عشر قال فى المستوفى : « ومن الحروف ما هـو مركب نحو لولا ، ذهب أصحابنا الى أن الاسم بعـده لا يرتفع الا بالابتداء • وقالوا ان الحكم قـد تغير بالتركيب ، لأن « لـو » لا يليها الا الفعل ، ولولا هـذه فى نحو لولا الغيث لهلكت المـاشية ، لا يليها الا الاسم ، **فهـذا وجه له من الفظاعة ما ترى • وأنت اذا استأنفت النظر ، وتفضت يدك من طاعة العصبية ، وأيقنت أن الحـق لا يعرف بالرجال يوشك أن يلوح لك فيه وجـه آخر** ، وذلك أن تكون « لا » بعـد « لـو » دلت على الفعـل المنفى بهـا فحـذف تحريا للايجاز ، ولزم الحـذف للزوم الدلالة ولكثرة الاستعمال ، والتقدير لـو لم يحصل الغيث لهلكت المـاشية • وعلى هـذا يرتفع الاسم

---

(١) الاشباه والنظـائر ١/١٠٠ وانظر ص ٢١ ، ٢٢ من النص المحقق .

بعد لولا ارتفاعا عن فعل مقدر كما فى قوله تعالى « اذا السماء انشقت » فيكون حكم « لو » باقيا على ما كان قبل ، ودالا على امتناع الشىء لامتناع غيره ، اذ المعنى لو انقطع الغيث لهلكت الماشية ، وقولنا لم يحصل قريب المعنى من قولنا انقطع وانتفى • ومما يقرب هذا الحذف حذفهم الفعل بعد لولا التى للتحضيض فى قوله (لولا الكمى المقنعا) أليس قد أجمعوا على أن التقدير لولا تعدون فكذلك ثم »(١) • انتهى • وهو بنصه فى المستوفى(٢) • فهو هنا لا يتابع أصحابه البصريين على رأيهم ، وانما يذهب مذهبا آخر مدللا عليه •

ومما هو نص فى قيمة الكتاب وتوثيقه ما جاء فى البرهان للزركشى ففيه : « فصل جامع لخصته من كلام صاحب المستوفى فى العربية ، قال : تقسيمهم الوقف الى الجودة والحسن والقبح والكفاية وغير ذلك وان كان يدل على ذلك فليست القسمة بها صحيحة ، فالوجه أن يقال : الوقف ضربان : اضطرارى واختيارى ، فالاضطرارى •••• »(٣) قال ابن الجزرى : أكثر ما ذكر الناس فى أقسام الوقوف غير منضبط ولا منحصر ، فأقرب ما قلته فى ضبطه أن الوقف ينقسم الى اختيارى واضطرارى ••• »(٤) وهذا عين ما قاله الفرخان مما يثبت علمه بالقراءات رواية ودراية •

كما نقل عنه نصا فى خواص الوقف التام قال : « ومن خواص التام « **المراقبة** » وهو أن يكون الكلام له مقطعان على البدل ، كل واحد منهما اذا فرض فيه وجب الوصل فى الآخر ، واذا فرض

---

(١) الاشباه والنظائر ١/١٠٠ . وأنظر ص ٢١ ، ٢٢ من النص المحقق .
(٢) ول .
(٣) البرهان للزركشى ١/٣٥٩ — ٣٦٨ ول ١٩٦ ظ ، ١٩٧ و .
(٤) أنظر الاتقان ١/٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ .

فيه الوصل وجب الوقف فى الآخر كالحال بين حياة وبين أشركوا من قوله تعالى « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر » ....(١) والمراقبة فى القرارات التى جاء بها الفرخان واستعملها هى مصطلح عروضى نقله الى علم القراءات . وهى فى العروض تجاور سببين خفيفين فى جزء واحد فقط ، وقد سلم أحدهما وزوحف الآخر ، فلا يزاحف السببان المجتمعان ، ولا يسلمان من الزحاف ، بل لابد من مزاحفة أحدهما وسلامة الآخر ولا تكون الا فى جزء واحد على ما علمت . وهى تحل فى بحرين : المضارع والمقتضب : مفاعيل فى المضارع ومفعولات فى المقتضب ، فياء مفاعيلن الذى هو من أجزاء المضارع تراقب نونه ، فان دخلها الكف سقطت نونه وثبتت الياء ، وان دخلها القبض سقطت ياؤه وثبتت نونه ، فيكون تارة مفاعيل وتارة مفاعلن ولا يكون مفاعلين من غير حذف ، ولا مفاعل باسقاط الياء والنون »(٢) . وأول من نبه على المراقبة أبو الفضل الرازى أخذه من المراقبة فى العروض(٣) . فان كان هو الفخر الرازى صاحب المحصول فهو معاصر للفرخان اذ حياته بين ٤٥٤ — ٦٠٦ هـ وهى الفترة التى عاشها الفرخان أو شارك غيره فى جزء كبير منها .

ونقل عن المستوفى بصدد المجازاة ، ففى البرهان : « قال صاحب المستوفى : العبرة فى هذا بالتالى ، ان كان التالى قبل الانتظام جازما كانت هذه الشرطية جازمة ، أعنى خبرا محضا ، ولذلك جاز أن يوصل بها الموصولات .... »(٤) . ونقل آخر عن الشرط والجزاء : « قال صاحب المستوفى : أعلم أن المجازاة لا يجب أن

---

(١) البرهان ١/٣٦٥ ول ١٩٨ ظ .
(٢) الحاشية الكبرى للدمنهورى على متن الكافى ص ٣٢ .
(٣) الاتقان ١/٨٧ عن ابن الجزرى .
(٤) البرهان ٢/٣٥٣ ولوحة ١٣٢ ظ .